الفصل الخامس

الثورة العراقية الكبرى

— ٦ —

بقلم : الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني

سوء الادارة في البلاد

لما جردت الحكومة البريطانية حملتها العسكرية الاولى لاحتلال العراق في ٤ تشرين الاول ١٩١٤ م عينت ممثلها السياسي في الخليج العربي ، سير برسي كوكس ؛ ممثلا سياسياً لها في هذه الحملة فما كاد كوكس يتقلد زمام منصبه الجديد حتى أذاع بلاغاً على الحكام والشيوخ العرب تأريخه ٣١ تشرين الاول ١٩١٤ يطمئنهم فيه على أموالهم ومعتقداتهم ويطلب اليهم المحافظة على الحياد وعدم القيام بما من شأنه الاضرار بالمصالح البريطانية (١) ثم أصدر في اليوم التالي بلاغاً آخر عن اعتزام حكومته البريطانية المحافظة على « عدم التعرض للاماكن المقدسة مادام الحجاج أو الزوار الهنود القادمون من الهند . لايعترضهم أحد في طريقهم (٢) فلما احتل الجيش البريطاني مدينة البصرة في ٢٢ تشرين الثاني من هذه السنة ابدلت القيادة العسكرية عنوان وظيفة سير برسي كوكس من الممثل السياسي الى « رئيس الحكام السياسيين » ووضعت تحت تصرفه عدداً من الضباط العسكريين الذين أمكنها الاستغناء عن خدماتهم في الوحدات العسكرية فأصدر كوكس بلاغاً ثالثا الى اهل البصرة ذكر فيه الاهلين بأن الجيش البريطاني انما يحارب الحكومة التركية لا الاهلين الذين يضمر لهم كل خير وفلاح . الخ وكان القصد من جميع هذه البيانات الفت في عضد الوحدة الاسلامية وإثارة النفرة بين العراقيين والحكومة العثمانية جرياً على قاعدة « فرق تسد » .

وفي ١٤ شباط ١٩١٤ م أذاع سير برسي كوكس بلاغاً جديداً لكنه كان خطيراً وهذا نصه : « الى جميع من يعنيهم الأمر .

« يعلم الجميع ان مناطق العراق فيما بين الفاو والقرنة قد أصبحت الآن محتلة من قبل القوات البريطانية منذ شهرين مضيا . لقد بينا مراراً الى الجمهور ان الحكومة البريطانية قد اخطرت ، ضد رغبتها ، الى محاربة تركية بسبب الأعمال العدوانية التي قامت بها الحكومة التركية بتحريض من المانية غير ان أعمال القوات البريطانية الحربية موجهة نحو الحكومة التركية وجنودها فقط. اما العرب فان الحكومة البريطانية ليست لها رغبة في أن تعاملهم كاعداء لها طالما ظلوا هم أنفسهم أصدقاء ومحايدين ، وطالما امتنعوا من عمل السلاح ضد جيوشها . بل ان الحكومة البريطانية على العكس ترغب في تحرير العرب من ظلم الترك وتيسير التقدم لهم وزيادة رفاههم وصناعتهم .

لقد ابدى الكثير من شيوخ العرب والقبائل في ولاية البصرة مدركهم مصالحهم الخاصة ، ورغبتهم في التسليم الى السلطات البريطانية او وقفوا بعيداً عن الحركات الحربية بين الحكومتين بمحض ارادتهم ، غير ان بعض الاشخاص من الطائشين ٣ قد اغراهم العدو على حمل السلاح لمساعدته ضد الجيوش البريطانية لقد اصدرنا هذا التنبيه لنحذر جميع الشيوخ والقبائل في ولاية البصرة ، وبضمنها مناطق البصرة والقرنة والعمارة والمنتفق ؛ ان اولئك الذين ينحرفون عن طريق الصداقة والحياد ويحملون السلاح لمعاونة العدو ستستحوذ الحكومة البريطانية على املاكهم التي تقع ضمن النفوذ البريطاني وسوف يعلن في حينه عندما ينفذ امثال ذلك .

هذا ما وجب بيانه .

بامر قائد القوات ٤

ب . ز . كوكس رئيس الحكام السياسيين

وقد ادت احتياجات الجيش المحلية الى اصدار عدد كبير من البيانات والاعلانات والأوامر المعقدة هيمنت على العلاقات بين الجيش والاهلين فكانت شديدة الوطأة صعبة التنفيذ بحيث

---

١ — سير برسي كوكس في رسائل بل ص ٥٠٧ اما اصل البلاغة فتجده في كتاب ولسن ص ٣٠٩

٢ — ولسن في كتابه قصادم في البلاد ص ٣١٠

٣ — يريد بهم المجاهدون .

٤ — ولسن ٣١٢

انتقدها العسكريون قبل السياسيين فالسخرة وجمع الطعام واشغال العقارات بيدلات ضئيلة جداً واستخدام وسائل النقل وتقييد التجوال والأسفار وعدم السماح بنقل الجنائز الى المراقد المقدسة كل هذه كانت حالات لم يألفها الناس رغم انهم ذاقوا مرارة الحرب اثناء القتال بين الجيشين البريطاني والعثماني الأمر الذي أدى الى توسع الهوة السحيقة التي كانت بينهم وبين العثمانيين ؛ وقد زاد الطين بلة ان الذين عهد اليهم ادارة المناطق المحتلة كانوا يجهلون نفسيات العرب عامة والعراقيين خاصة ؛ بل الظاهر انهم حسبوا العراقيين هنوداً فاسمعوهم قارص القول وعودوا مشرديهم على امتهان ابكرامات ومس العواطف وكم الصدور فهيمنت على البلاد جيوش الفوضى والارهاب والرشوة في الوقت الذي اعلنت الحكومة البريطانية في بلاغاتها المتعددة انها جاءت لتتعاون مع العرب على تحريرهم من ظلم الترك المعتدين فكانت المعاملة التي عومل بها السكان لا تختلف عن المعاملة التي يعامل بها المعادون واغرب من هذا كله ان الحكام المذكورين ساروا وفق انظمة وتعليمات وضعتها سلطات الاحتلال العسكرية والمدنية مع ان اتفاقات لاهاي لسنتي ١٨٩٩ و ١٩٠٨ تقضيان على الدول التي تحتل مملكة ما ان تتخذ كل الوسائل الممكنة لتطبيق القوانين المرعية الاجراء في تلك المملكة « ١ » وقد انتشر تعيين الضباط العسكريين في المناصب السياسية حتى عم العراق باسره واصبح مصدر خطر عظيم .

يقول جنرال ايلمر هالدن في كتابه ثورة العراق في سنة ١٩٢٠ ،

وعندما تخلت الدول بالسلم اليهم سيل من الطلبات من قبل الضباط للاستخدام في الدوائر الادارية والسياسية ، ولما كان هؤلاء الجنود والضباط لم يألفوا الاشتغال في المناصب الادارية عينوا في المناطق الصغيرة كالشطرة وقلعة سكر والديوانية وعفك ؛ بينما في المراكز المهمة ، عينت القيادة موظفين اكفاء من هيأة الادارة الهندية . وشغل المناصب والوظائف الصغيرة ضباط وافراد من الجيش الانكليزي الذين كانوا يحاربون خلال الحرب العامة في المستعمرات والمناطق البعيدة ، ولما كان هؤلاء الضباط لم يطلعوا على وسائل الادارة ويجهلون الاحوال والظروف التي تحيط بهذه البلاد — أي بالعراق — عينوا كوكلاء للحكام السياسيين واحياناً كحكام سياسيين وذلك عادة في الالوية الصغيرة .

« ١ » ولسن ٣١٢ .

فيظهر من ذلك ان اغلب الموظفين الاداريين والرؤساء العسكريين يجهلون احوال هذه البلاد وعادات سكانها واخلاقهم ؛ فكانوا يسألون من حين لآخر الاشخاص الذين سبق لهم الاشتغال في هذه البلاد ودرسوا احوال اهلها في اتباع الطرق الناجعة والوسائل المفيدة ؛ وبحكم الطبع كانت جميع الاوامر العامة والتقارير تصدر من قبل الموظفين الذين اشغلوا شتى المناصب في الهيآت الادارية الهندية ، ولما كان العراقيون يختلفون عن الهنود اخلاقاً وخلقاً كانت الطرق التي يتبعها رؤساء الدوائر عقيمة وصعبة التنفيذ . وتبين لي خلال رحلاتي هذه واحاديثي مع الحكام السياسيين ان فريقاً كبيراً منهم ضعيف في الادارة ؛ ضعيف في السياسة ، ضعيف في النشاط وغير كفوء للقيام بوظائفه منهم من كان يرسل تقريراً ويعقبه بآخر يختلف فحواه تماما عن التقرير الاول وهكذا كانت تنهال على التقارير المتناقضة فاحير في كيفية تعليلها وتفسيرها . الخ [١] .

وفي الواقع ان الانكليز ارادوا ان يحكموا البلاد حكماً عسكريا مباشراً فعينوا لكل لواء ولكل قضاء حاكماً عسكريا ؛ وكان هؤلاء الحكام من ضباط المستعمرات الذين الفوا الحكم والسيطرة ، او من ضباط الجيش الذين لم يمارسوا الشؤون الادارية المدنية وقد انتفخت اوداجهم صلفاً وغروراً فازدروا الناس واحتقروهم واوصلوا انواع الاذى لهم ، ولم يكتفوا بذلك بل اصطنعوا طائفة ممن لا خلاق لهم فقربوهم وادنوهم حتى جعلوهم يمعنون في الارهاق اما الكتاب وصغار الموظفين فقد كانوا من الهنود واليهود والنصارى والاعاجم الذين مالأوا السلطة المحتلة وكانوا عونا لها على اذلال العرب اصحاب البلاد الشرعيين .

وهكذا اقامت الحكومة البريطانية الدلائل الملموسة على دحض المدعيات التي اغرت بها اهل البلاد من مساعدة العرب على حكم بلادهم بانفسهم وتحريرهم من ظلم الترك المستبدين فقد اصبحت كل بلدة من بلادنا بل كل قرية من قرانا يحكمها حكام بريطانيون او هنود يجهل معظمهم عادات اهل البلاد وحالتهم الروحية فاصبح الجهل والعقد بيد هؤلاء الشبيبة الذين تعودوا الحكم في بلاد الهند ولقد اطلقت يدهم ولم تحدد سلطتهم فقاسى الشعب العراقي ما قاسى

[١] هالدن في كتابه ثورة العراق في سنة ١٩٢٠ الفصل الثاني ص

احكامن مهم الشخصية المخالفة لرغائب الشعب وآماله . ومما يزيد الحالة تعاسة ان هؤلاء الضباط قربوا اليهم نفراً لا يعتمد عليهم الشعب لمجرد ظهورهم بمظهر الولاء والاخلاص للحكومة ، فسئمت الامة تلك الاعمال وضجرت من توديع المصالح الى غير ذويها ، وبالرغم عن تذمر الأمة من هذه الحالة لم يفسح لآمالها مجالا ولهذا رأت نفسها مضطرة الى التكاتف والتحالف في سبيل تأمين المصلحة الوطنية واعطاء حد للاعمال الكيفية [١]

اجل هكذا كانت الادارة في المدن . اما في الارياف القبيلية واما ادارة القبائل فقد وضع لها نظام مستمد من عادات واوضاع القبائل الافغانية كان قد وضعه سير هنري دوبس حين كان مراقباً للشؤون المالية والقضائية في بلوجستان قبل الحرب العامة فاعترف بشيخ واحد في كل قبيلة واصبح كل شيخ عين او انتخب على هذا الاساس، مسؤولا امام السلطة المحتلة عن السلم والنظام في قبيلته وعن القبض على المجرمين وحفظ خطوط المواصلات وممتلكات الانكليز وعن قطع جميع المساعدات والمؤن عن الترك وكذلك عن جميع الضرائب ولقاء ذلك اعطى الشيوخ المشاهرات والمساعدات واحيانا الاسلحة فتأيدت حدودهم وغض النظر عن ضرائبهم وكان كل رئيس يضطر لموالات السلطة لئلا يفقد المساعدة والحظوة (٢)

بغداد . يتبع عبد الرزاق الحسني

---

(١) جريدة الاستقلال البغدادية العدد (٩) الصادر بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ م

(٢) آيرلند ص ٨٢

من الادب المنسي

للشيخ أحمد رضا الاصفهاني ملغزاً في لفظ بروه

يا أدباء العصر ما موضع ... أوله نصف لثانيه

وحرفه الثالث ضعف لما ... تحسبه ان عد تاليه

ويطلب العاشق من صبه ... مقلوبه مع حذف باديه

مع حذف اولاه إذا لم تكن ... علمت أن قد سال واديه

وقد نهى الشارع عنه إذا ... رخمته مع قلب باقيه

١٠

الثقيل

للشاعر الشهير السيد أحمد الصافي النجفي

رب ثقيل الظل بين الورى ... لو يرتقي الاطواد لستثقله

وسائل النقل أبت حمله ... لأنها تكسر إذ تنقله

حديثه يفعل فعل الردى ... فكل من يصغي له يقتله

يكلف الناس أحاديثه ... يجيب عما لم تكن تسأله

ثقيل جسم منه خف الحجا ... يفوه بالقول ولا يعقله

لقد تساوى الطبع في جسمه ... كأن أعلى جسمه أسفله

قال خليلي اذا رأى ثقله ... وابصر الاعراض لا يخجله

فيم يحمل الورى نفسه ... قلت لان الارض لا تحمله

ثقيل الدم

مرآة نحس للانام وجهه ... يعكس نحساً عن جبين قاتم

قد بغض الوجود لي وجوده ... وعدت في الممات جد هائم

ما أن يرى في عمره سلامة ... من كان من مرآه غير سالم

بخلقه وخلقه قد اغتدى ... عالمنا من اقبح العوالم

تعير العرب به أعاجم ... والعرب تلقيه على الأعاجم

كل امرئ يرميه فوق آخر ... كأنه اثم من المآثم

قد عاقب الله الورى بخلقه ... وصبه في الكون صب ناقم

يا رب خفف من عقابنا به ... فهو عقاب فاق جرم الجارم

أعاظم الناس به تحقروا ... إذ عد نفسه من الأعاظم

إن جاء في عرس الورى مهنئاً ... يحول الاعراس للمآتم

لا شك ان الاثم عند وضعها ... له غدت تقرع سن النادم

لا يستطيع الاب رده لها ... والام ردته لصلب آثم

لو كان حواء وكنت آدما ... ولم يكن لي غيره في العالم

تالله لم اقرب اليه لحظة ... ولو حرمت الكون نسل آدم

دمشق : أحمد الصافي